دور الدراما التلفزيونية السودانية فى ترسيخ القيم الأخلاقية مسلسل أقمارالضواحي انموذجاً !

أحمد الطيب أحمد كشـــــاح و عادل محمد الحسن حربى
[2,1] جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ كلية الموسيقي والدراما

المستخلص :

تتناول هذه الدراسة دور الدراما التلفزيونية السودانية في ترسيخ القيم الأخلاقية بالتطبيق على مسلسل أقمار الضواحي، وقد قسم الباحث البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة

عرض الباحث في الفصل الأول (الدراما التلفزيونية) شمل ثلاثة مباحث تناولت التلفزيون نشأته وتطوره ودوره في المجتمع و المبحث الثاني الدراما التلفزيونية والمبحث الثالث تناول فيه الباحث إنتاج الدراما التلفزيونية

وفى الفصل الثاني (الدراما التلفزيونية والقيم)عمد الباحث لدور الدراما التلفزيونية في المجتمع والمبحث الثاني تناول الدراما والقيم والمبحث الثالث خصصه الباحث للدراما التلفزيونية السودانية والقيم الأخلاقية وترسيخها في المجتمع باستعراض مجموعة من المسلسلات التي قدمها التلفزيون القومي في الفترة مابين 2000 إلى 2015م .

اما الفصل الثالث الذي يمثل الجانب التطبيقي للبحث فقد قدم فيه الباحث النموذج بتحليل مسلسل أقمار الضواحي بعرض ثلاثة حلقات (الأولي، الثامنة عشر ، والأخيرة) وعمل مقابلات مع كتاب ومخرجين يعملون في مجال الدراما التلفزيونية

وقد توصل الباحث الى ان الدراما التلفزيونية السودانية حملت رسالة تربوية ودينية واستطاعت عبر مسيرتها الطويلة ان ترسيخ القيم الاخلاقية الفاضلة بتناولها للعادات والتقاليد الحميدة المتأصلة في المجتمع السوداني .

كلمات مفتاحية : *الدراما –مرأة – تعكس – المجتمع*

ABSTRACT :

This study examined the role of the Sudanese television drama in moral values consolidation applied on the drama series (Aqmar Al-Dwahi).

The researcher divided this research into three chapters and conclusion.

The introduction includes; research problem, research significance, objectives, questions, hypotheses, approach, research limits, construction and the previous studies.

Chapter one titled (TV Drama), it consists of three divisions. Division one dealt with the TV origin, evolution and role in the society. Division two specialized for the TV drama, its origin and evolution up to now. In Division three, the researcher examined the production of TV drama and its different means.

Chapter Two titled (TV drama and Values). It includes three divisions; division one discussed the role of TV drama in the society. Division two dealt with drama and values. Division three allocated to study the Sudanese TV drama and its support and consolidation of the moral values, through a review of the general objectives of Series presented by TV during the period 2000-2015.

Chapter three represents the practical part of the study, in which the researcher worked on to analyze three episodes of the series (1st, 18th and the last episode). And he conducted some interviews with the authors and filmmakers who are working in the field of the TV drama.

Key words: *Drama, mirror, reflect، community.*

المـــــقدمة :

الدراما التلفزيونية من أهم الاشكال الدرامية المقدمة فى العصر الحديث لما تتمتع به من مزايا وخصائص تفيد الانتشار الجماهيرى للتلفزيون مما يؤكد ضرورة اتجاة الدراسات الاعلامية الى الدراما التلفزيونية ومضمونها لتشارك فى تغيٍّ ر العادات السلوكية وتعديل القيم الاخلاقية والحفاظ عليها من خلال تقديم القدوة والانماط الانسانية السليمة ومعالجة المشكلات الاجتماعية بطريقة غير مباشرة وبما تمتلكه من ادوات الجذب من اثارة وتشويق، وبذلك تعتبر الدراما التلفزيونية من اكثر ادوات التغيير الاجتماعي فاعلية واصبحت تؤثر فى المجتمع المتلقي سلباً وايجاباُ وتشكل أتجاهات الرأى العام

والدراما التلفزيونية السودانية عبر تاريخها الطويل ومنذ بداية الارسال التلفزيوني فى اوائل الستينيات من القرن الماضى ظلت تقدم الانموذج الافضل من خلال الدراما التعلميةالتربوية والدينية التى تحمل القيم الاخلاقية من داخل البرامج وعلى الهواء مباشرة ايضاً من خلال المسلسلات والافلام السودانية التى عُرضت استطاعت ان تقدم الانموذج الافضل من تجسيد لقيم الخير والحق والجمال المتأصلة فى المجتمع السوداني.

ومن خلال هذا البحث نتعرض لبعض المسلسلات التى عرضها التلفزيون القومى{القناة القومية(فى الفترة ما بين 2000-2014م بالتطبيق على مسلسل أقمار الضواحي.

مشكلة البحث :

لاحظ الباحث من خلال تجربته فى مجال الدراما أن الدراما التلفزيونية تعمد الى لعب دور هام فى مسائل القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة ولم يثبت لها هذا الدور الفاعل .

1/ عدم الوعي والادراك الكامل بدور الدراما التلفزيونية السودانية فى بناء المجتمع من قبل الدولة والسياسين والمسؤلين والذى أثر سلباً فى التقليل من شأنها وقلة انتاجها وعدم دعمها.

2/ النظرة السطحية والضيقة لرجال الدين والدعاة السودانيين تجاه الدراما والدراميين أنفسهم مما ألقي بظلال سالبة أثرت كذلك فى تكوين رأى عام خلق جفوة بينها والجماهير أن لم يكن مقاطعتها.

اهداف البحث :

أ/ الكشف عن الدور الرائد والطليعي الذى قامت به الدراما التلفزيونية السودانية خاصةً المسلسلات الاجتماعية التى قدمها التلفزيون القومي فى تنمية المجتمع ودعم وتأصيل القيم الاخلاقية التى يبنى عليهاكيان المجتمع السوداني وأستقراره وتطوره.

ب/ ابراز القيم الجمالية التى تناولتها الدراما التلفزيونية السودانية عبر قصصها وموضوعاتها حفاظاً على المجتمع وأمنه وسلامه.

ج/ فى ظل التطور المستمر وانفتاح سوق الدراما التلفزيونية كان لابد من التنبيه للدور الرسالي الذى تؤديه الدراما التلفزيونية السودانية فى خدمة المجتمع والحفاظ على قيمه الاخلاقية وتقديمه للأخر .

أهمية البحث :

لمعرفة الدورالطليعي و والمهم الذى تؤديه الدراما التلفزيونية السودانية فى تنمية المجتمع والحفاظ على القيم الاخلاقية التى يبنى عليها كيان المجتمع السودانى واستقراره وتطوره.

اسئلة البحث:

1.هل الدراما التلفزيونية السودانية تمثل دعامة قوية فى الحفاظ على كيان المجتمع السوداني؟.

2. مدى استفادة الدولة من دور الدراما فى تنمية المجتمع والحفاظ على قيمه الاخلاقية ؟.

3 .الى اي مدى يمكن ان تسهم الدراما التلفزيونية فى تعديل السلوك والقيم والتربية فى المجتمع السودانى واسقراره وتنميته؟.

فروض البحث:

1/ للدراما التلفزيونية رساله أجتماعية وتربوية فى المجتمع السودانى والقيم الاخلاقية هى السمة الغالبة عليها.

2/ كل المسلسلات التلفزيونية التى قدمها التلفزيون القومي تحمل رسائل ذات قيم اخلاقية وتربوية.

3/ الدراميون (المؤلف, والممثل, والمخرج يحملون رسالة تجاه المجتمع تتعدي وتفوق دور المرشد والداعية الاسلامى.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لتغطية الجوانب المتعلقة بالجانب النظرى والتطبيقي.

حدود البحث :

الحدود المكانية: تلفزيون السودان (القناة القومية)

حدود زمانية: وهى ما بين 2000 – 2014م

مصطلحات البحث :

الدرامـــــا :

أول من تناول كلمة دراما ارسطو فى(كتابه فن الشعر) بقوله أن المحاكاه هى الأصل فى الفن أي ان الفنون كلها إنما هى مظاهر من المحاكاه (محى الدين عبد الحليم ،1984م ،ص15)

وفى المعجم الانجليزي (الدراما هى تمثلية تحاكي ممارسة دور يمثل واقع الحياة على خشبة المسرح من خلال اداء يقوم به الممثلون (المعجم الانجليزى ، ص244)

ويقول (حسين رامز 1972م ـ ص27) انتقلت كلمة دراما من اللغة اليونانية الى اللغة العربية كلفظ لا كمعني فبعض الناس يطلق كلمة دراما على اي حدث مؤثر ينطوي على مأساة

وفى المعجم الوسيط عرّف الدراما بأنها حكاية لجانب من الحياة الأنسانية يعرضها ممثلون يقلدون الاشخاص الاصليين فى لباسهم وأقوالهم وأفعالهم رواية تعد للتمثيل على المسرح (ابراهيم أنيس واخرون ،1989م،ص282)

التلفزيون :

وكلمة تلفزيون تتكون من مقطعين Television) ومصطلح vision فى اللغة الانجليزية تعنى الرؤية tele تعنى (عن بعد) (الرؤية عن بعد) ويعرف التلفزيون مصطلحاً بانه نظام الكتروني يعمل لارسال صور الاجسام الثابتة او المتحركة مقرونة مع الاصوات

(مشاهدة صور على مسافة بعيدة عبر الارسال صور تمثل مشاهد تري (المعجم الانجليزى ، 1993م،846)

القـــــــيم :

القيمة مفهوم ضمنى غالباً ما يُعبر عن درجة التفضيل التى ترتبط بالاشخاص والاشياء والمعاني واوجه النشاط المختلفة. ان القيم جزء من الاعراف والتقاليد داخل المجتمع وهى قانون يضبط سلوك ونشاط الافراد الى ما فيه صلاحهم وسلامهم وامنهم.

ويُعرف د. محي الدين مختار – القيم: على انها محددات للسلوك الاجتماعي وهى نتاج الاهتمامات ونشاط الفرد والجماعة وانها من خصائص النوع البشرى وهى تعبير عن دوافع الانسان وتمثل الاشياء التى توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها. (نادية رضوان ـ 1997م ـ ص191)

نشأة الدراما التلفزيونية

لابد من أن البداية الأولى للدراما كفن تمثيلي نشأت عن الميل الغريزي للمحاكاة عند الإنسان، فالدراما مرتبطة بالإنسان والإنسان مرتبط بالدراما منذ هبوط سيدنا آدم عليه السلام من الجنه للأرض وقتل قابيل لاخيه هابيل وبعث الله عز وجل الغراب ليُعلم قابيل كيف يواري أخيه هابيل فقتل الغراب اخيه ودفنه فى الأرض ، اذاً الدراما مرتبطة بالإنسان منذ ذاك الوقت وحتى الأن ومن الطبيعي أن تكون الدراما قد نشأة مع نشأة الإنسان على الارض مما لاشك فيه أن الدراما بدأت مسرحية وقد تعددت النظريات والآراء حول نشأتها واختلفت وجهات النظر حول بدايتها فالبعض يرى أن الدراما اول ما ظهرت في الطقوس اليونانية التي كانت تقام في احتفالات السنه القديمة وقدوم سنه جديدة والتي كانت ترمز لانتصار قوة الحياة على الموت والبعض يرى أنها نشأة من الطقوس التي يكرم فيها الموتى لينالوا الابدية .

(لقد ظهرت الدراما كنوع من الأنواع الفنية التي واكبت ظهور التلفزيون لتحكي رواية أو قصة ما عبر شخوص تقدمها على الشاشة، فالكتابة التلفزيونية هي قبل كل شي عمل أدبي وشكلها الأمثل هو السيناريو الذى يحول القصة من نص ادبى الى احداث مصورة عبر الشخصيات والاماكن والحوار والقصص او الحكايةهى العمود الفقري للدراماالتلفزيونية ، فنحن

عبر الشاشة نرى أمامنا عالماً ينتظم بطريقة قصصية وكأنه هذه القصة تحدث أمامنا فنحن على كل الأعتبارات نرى الشاشة ونسمع منها ما يجري (الأن) بواسطة أشخاص وحيوانات وأشياء تقوم بالفعل أمامنا أو تعبر عن نفسها بنفسها(دون تدخل من طرف المؤلف) مهما تأرجح المشاهد بين التصديق والتكذيب ومهما تأرجح العمل بين الواقعية والشكلية وهى بذلك تعتبر لوناً من الوان الدراما التى نسميه دراما الشاشة).(عبد العزيز حمودة ،1997م ،ص 17)

أعتمد التلفزيون فى بدايته على توظيف الاشكال الترفيهية القصيرة التى كانت موجودة وقائمة فى المسرح والراديو كما هى على شاشة التلفزيون وبعد ذلك بداء التلفزيون ببناء انتاج خاص به سمي بالدراما التلفزيونية وحدد لها مواصفات ومعايير فنية وتقنية متعددة والتى تطورت فيما بعد من ناحية الشكل والمضمون.

(واستطاعت الدراما التلفزيونية فى السنين الاخيرة ان تحتل مكانة مؤثرة وفاعلة وساهمت فى أعادة الاعتبارات لثقافات انسانية كانت الى زمن قريب مجهولة ومنحصرة فى دائرة الحسابات الضيقة لرجال الدين والسياسة. فنجح التلفزيون اذاً فى سرقة جزء كبير من الجمهور الذى ظل وفياً للقاعة سواء فى المسرح او السينما)(عبد المعز حمودة ، 1997م، ص 17)

اذاً التلفزيون يتفرد بخاصية مهمة واساسية فى عملية الانتاج الدرامى عن باقى وسائل الاعلام التى تتعامل مع الدراما والفن عامة حيث انه يرتبط مع كل فنون العرض وباعتباره وسيلة للنشر والاعلام والاعلان والدعاية فى نفس الوقت وتؤدي الدراما الى جانب البرامج المختلفة أدواراً مهمة فى توفير المعلومات الثقافية والاجتماعية

ومناقشة القضايا والموضوعات التى تهم المجتمع وتحليلها ووضع الحلول المناسبة لها بإسلوب غير مباشر اسلوب محبب للمشاهدين .

الدراما التلفزيونية و المجتمع :

(تعتبر الدراما التلفزيونية واحدة من الفنون الموضوعية التى تُعبر عن المجتمع الذى تتبع منه فتؤثر فيه وتتأثر به ويؤكد فلاسفة الفن ان للفن علاقات ضرورية بالدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد وغيرها من ظواهر المجتمع ولكن من المؤكد ان الفنان يستجيب للمصير البشرى استجابة خاصة تميزه عن كل من رجل الدين وعالم الاخلاق والسياسي ورجل الاقتصاد. ((ابراهيم زكريا، 1976م،ص 125)

والدراما التلفزيونية كفن معاصر يُعنى بتجسيد مشكلات المجتمع عن طريق توظيف العناصر الفنية وتقديم الحلول عن طريق الانماط الانسانية السليمة التى تهدد القيم الاجتماعية والاخلاقية اذاً المشكلة المجتمعية هى جوهر الدراما التلفزيونية والمشكلات المجتمعية كمادة تتضمن مواقف يعتقد انها تهدد القيم الاجتماعية ولكنها قابله للعلاج الاجتماعي الذى تقدمه الدراما فى طرحها.

فالدراما التلفزيونية بالاخص تقدم للمجتمع مناقشات تربط الفرد الاجتماعي بالكل، كما تقدم انماطاً من السلوك، ويمكننا القول ان الدراما التلفزيونية تساهم مع الاتصال الاجتماعي فى نقل الثقافة الى مختلف قطاعات المجتمع بطريقة لاتحتاج الى مهارة او اعداد فالامي يستطيع ان يتابع التمثيلية التلفزيونية بدون جهد ويفهمها خاصة التى تكشف المجتمع بلا مبالاه فى بعض الاحيان ومن السخرية والاستهزاء فى احيان اخرى الى الاهتمام بمشكلات المجتمع، ثم باعتبارها جزءاً من امراض المجتمع والعمل على حلها.

وظائف الدراما التلفزيونية فى المجتمع:

تعتبر الدراما كما عرفنا وسيلة من وسائل نقل التجارب الانسانية وتقديم الافكار وتسهم كذلك فى الحكمة العلمية وهى كذلك تقدم رؤية للحياة وعلى حد تعبير ارسطو (فإن الاشياء التى ننظراليها بحد ذاتها بألم نُسر كذلك بتأملها عندما نراها تقلد بإمانة ودقة(اريك بنتلي ،1983م،ص 13)

ولذلك فإن السبب فى تمتع الناس برؤية شبه ما! هو انهم يجدون أنفسهم يقولون نعم، كذلك، هو ، والمحاكاة تكفى لان تحول الالم الذى نقاسيه فى الحياه الى سرور حين نراءه مجسداً أمامنا والمساهمة فى هذه الرؤية وهذة الحكمة لا تعني تسلم المعلومات او النصيحة المباشرة بل المرور بتجربة مهمة فى حياتنا سينجم عنها فرح أو غبطة او نشوة او غيرها (ارنست فيشر ،1998م، ص 53)

فنحن حين نرى الاعمال الدرامية نتمتع وفى نفس الوقت نخاف ونندهش ونزرف الدموع أحياناً ونضحك فى احيان أخرى وما هذة الدموع الإ ترويح عن النفس بالبكاء كما عرف ذلك ارسطو (بالتطهير) والذى يقوم بالاحساس بالشفقة والاحساس بالخوف،ان الدراما تمنحنا الاستمرار فى الحياة والحرية التى لا نستطيع الحصول عليها فى الحياة الحقيقية فهى طوق النجاة الذى ينقذنا من دوامة الحياة اليومية وافرازاتها التى تصيبنا بالملل احياناً والفن عموماً هو تخطي لليأس وهو علاج يساعد ناعلى فهم انفسنا فهماً أفضل فأرسطو يرى وظيفة الدراما هى تطهير للانفعالات والتغلب على الخوف والشفقة لذلك نرى ان للدراما ادواراً ايجابية التى تؤديها الدراما التلفزيونية فى تغيير الاتجاهات السلبية فى المجتمع ودعم قيم الجماهير الايجابية وحفظها بتناولها للافكار الهادفة التى تقُوم المجتمع وتعالج مشكلاته ليتوافق مع البيئة ويعش فى توازن وسلام ،

و ويرى الباحث أن للدراما التلفزيونية رسالة تربوية وثقافية فى المجتمع كواحدة من وسائل الاتصال الجماهيري مما يجعلنا نبحث فى مسئولية الدراما التلفزيونية تجاه القيم فى النظام الاجتماعي، ويرى أن مسئولية الدراما التلفزيونية تجاة النظام الاجتماعى تتلخص فى نقطتين:

أ ولاً: الدراما التلفزيونية أداة تساعد القيم فى اداء وظائفها فى النظام الاجتماعي.

ثانياً: الدراما التلفزيونية فى مواجهة تهديدات الغزو الثقافي الاجنبي لهدم القيم الأخلاقية

وتأتي ضرورة الدراما التلفزيونية فى تأصيل السلوك القويم فى نفوس الجماهير ومقاومة السلوك المنحرف ومواجهته بالحفاظ على القيم والأخلاق من خلال السيناريو الدرامي والدراما التلفزيونية لكي تكون أداة فعالة في مساعدة النسق القيمي بالنظام الاجتماعي والاخلاقي عليها أن تعمل بكل جهدها على إذكاء وتقوية عناصر القيم فى المجتمع ووضع المحاذير والسلوك الامثل استناداً على الموروث العقائدى والثقافى والاجتماعي وكلما تناولت القصص الدرامية مشكلات المجتمع واماله وتطلعاته كانت اكثر موضوعية وقبول وتستطيع ان توصل رسالتها .

و يرى الباحث انه حينما يتم انتاج الدراما التلفزيونية فى ضوء هذا المنهج تلتقى مطالب الفن ومطالب التصور الايماني دون تعارض او نزاع، وتصبح الدراما التلفزيونية على اختلاف اشكالها ذات دور بناءً فى المجتمع والحفاظ على كيانه وقيمه الاخلاقية دون ان تجانب الحق او تحول الفن الى خطب وعظية سطحية التأثير.

ان الدراما التلفزيونية بهذا الشكل والمنطق تسعي لتحقيق الاهداف العليا للحياه واعلا قيم الحق والجمال ورسالة الانسان فى مجتمعه وبذلك تكون الدراما ادت دورها فى المجتمع.

الدراما التلفزيونية السودانية

عندما نتحدث عن الدراما التلفزيونية السودانية لابد لنا ان نبدأ بنشأة التلفزيون السودانى وبداية العمل فيه حيث تزامنت نشأة الدراما التلفزيونية فى السودان مع بدء الارسال التلفزيوني حيث يقول البروفيسور على محمد شمو (فى يوم 1962/12/23م بدأ الارسال التلفزيونى من حديقة السطح بفندق المسرح القومى وظهرت الاضواء للناظر من بعيد من جزيرة توتي ومن الضفة الشرقية للنيل وانضبطت حركة الصعودالى سطح المبني وبدأت الكاميرات تعمل وظهرت الصورة من خلال الكاميرا الالكترونية مروراً بجهاز الارسال وصولاً لجهاز الاستقبال ودارت ماكينة التليسينما وعُرضت الافلام والمسلسلات وانتظمت الخدمة من الساعة السادسة مساء الى التاسعة تنفسنا بعدها الصعداء واقبلنا على بعضنا مهنئين ومباركين ومُعلنين للملأ المتتبع والمهتم بتاريخ الاعلام الالكتروني فى السودان ان التلفزيون السودانى قد اصبح عضواً فى نادي الدول التى تمتلك وتدير محطات التلفزيون. (على شمو ،. بدون تاريخ ص 135).

حيث بداءت الدراما التلفزيونية السودانية بقوة بتقديم فقرات درامية قصيرة داخل البرامج الدينية والتربوية وعلى الهواء مباشرة (بدأت الدراما التلفزيونية عندنا لاول مرة ضمن برنامج مخصص لها فى عام 1965م وهو برنامج (مسرح المجتمع) تقديم الاستاذ حلمى ابراهيم وكان زمن البرنامج ساعة من الزمن وطبيعة هذا البرنامج تقوم على تقديم تمثليتين على الهواء مباشرة نصف الساعة الاول كان ثابتاً لعمل الفنان المسرحى الفاضل سعيد وفرقته اما نصف الساعة الثاني يتناوب فيها الاستاذ المسرحي حسن عبد المجيد وفرقته والاستاذ احمد عاطف (عبد الله الميري . 2000 ص43)

بالرغم من ما حققته الدراما من دور كبير فى البرامج تجلي ذلك فى طرح نفسها كفن قادم بدأ يشق طريقه فى الساحة وقد أخذت فيما يبدوء على عاتقها ان تنحو نحو التفرد والخصوصية فى انتاج صيغ درامية تؤهلها لهذا

الدور ومن ثم تفرض تحديد زمن مقطوع من خارطة البث البرامجية للتلفزيون فأنفصلت بدورها عن السهرات وصيغ الاسكتشات القصيرة.

(وقد سبق هذا البث لهذه البرامج فى (1963/11/17م) وصول عربة التلفزة ومعها عدداً من الاجهزة التى كانت عبارة عن منحة من المانيا الاتحادية فعاد الارسال التلفزيوني مرة أخري الى فندق المسرح القومي (بعد أن كان بإستديوهات الاذاعة واستطاع الدراميون تقديم أعمالهم من على سطح الفندق مباشرة للتلفزيون واستفاد المخرجون من المناظر العامة كفواصل جمالية للمشاهد الدرامية المقدمة على الهواء مباشرة (سعد يوسف عبيد 2003 ،ص 33) .

وقد بدأت فى هذة المرحلة بعضاًمن ملامح التمثلية التلفزيونية (فى ظلال الشك، وليلة رهيبة(زمنها نصف ساعة ويؤكد المخرج التلفزيوني (سيد محمود) أن الاعمال الاخيرة من أخراج فاروق سليمان ويتفق معه المخرج صلاح السيد ان سلسلة ابناء الافاعي ذات الفقرة الواحدة قد سبقت عرضها وانتاجها سلسلة الدخان التى كانت من إخراج ابراهيم عبيد (عبد الله الميرى ،2000،ص 44)

فى العام 1965 م خصص قسم مسؤول عن الدراما بالتلفزيون برئاسة الاستاذ فهمي بدوي وهو من الذين اسسوا الدراما التلفزيونية ويعتبر اول مدير للدراما التلفزيونية السودانية

أول مسلسل سوداني مسجل:

كان لابد من التطور والمواكبة والانتقال من مرحلة السلاسل القصيرة والافلام الى مرحلة المسلسل الكامل فجاء انتاج اول مسلسل سودانى (المرابي) فى العام 1970 م وهو من تأليف الاستاذ حسن عبد المجيد واخراج فاروق سليمان وشارك فى التمثيل (محمد رضا حسين، عبد الوهاب الجعفري، خديجة ناصر(ويتألف المسلسل من ست حلقات بحيث كانت تبث حلقة واحدة فى كل اسبوع فى اواخرالسبعينيات تطورت الدراما من حيث الكم والكيف وزدادت الدراما الوافدة من مصر ، ووصل

عدد حلقات المسلسل (ثلاثة عشر حلقة(واول مسلسل مكون من ثلاثة عشر حلقة هو مسلسل (المال والحب) قصة وسيناريو وحوارعمر الحميدى واخراج فاروق سليمان بطولة عوض صديق، فائزة عمسيب، جمال حسن سعيد، عيسي تيراب، جلال البلال وكان ذلك عام 1985م.

في العام 1990 م قدم التلفزيون السوداني اكبر مسلسل فى تاريخه ويتكون من سبعه وعشرين حلقة باسم (اللواء الابيض) من قصة وسيناريو وحوار العقيد/ محجوب محمد نور اخرجه فاروق سليمان والملاحظ ان دراما التلفزيون وبخاصة المسلسلات يتم انتاجه موسمياً وظلت مرتبطة بشهررمضان من كل عام والى الان التلفزيون القومى اوالقناة القومية

السودانية لايخصص المال الكافي لادارة الدراما لانتاج الدراما مقارنه مع بقية الادارات الاخري للتلفزيون .

ويرى الباحث من خلال ما ذكر من الدراسات والاوارق العلمية والروايات الشفاهية يمكننا ان نلخص الى ان الدراما التلفزيونية السودانية نشأت وتطورت عبر ثلاث مراحل :

. المرحلة الاولى / من بداية الارسال التلفزيوني بالسودان عام 1963م ـ 1968م وهو العام الذى استخدم فيه التلفزيون السودانى جهاز الفيديو لاول مرة وتميزت هذه المرحلة الاولى للارسال التلفزيوني بإن الدراما كانت تقدم على الهواء مباشرة عبر البرامج وكانت تقدم من داخل الاستديو والمسرح القومى .

ـ المرحلة الثانية للدراما التلفزيونية السودانية وهى تمثل فترة دخول جهاز التسجيل (الفيديو) عام 1968م الى 1995م حيث خرج الانتاج الدرامي من الاستديو وتسجيل الدراما فى الاشرطة مسلسل الارض الحمراء ومسلسل طائر الشفق الغريب 1982م

اما المرحلة الثالثة وهى مرحلة دخول شركات الانتاج فى مجال الدراما وتميزت هذة الفترة بانتاج نوعى وكمي ولكنها اعتمدت على التلفزيون القومى فى الشراء لذلك لم يستمر هذا الانتاج طويلاً لان التلفزيون ينتج الدراما فى شهر رمضان فقط من كل عام .

اذاً الدراما التلفزيونية السودانية بدأت قوية مع بداية الارسال التلفزيوني كماذكرنا بفقرات واسكتشات صغيرة داخل البرامجالدينية والتربوية وكانت تُقدم مع البرنامج من داخل الاستديو مباشرة على الهواء، مما يؤكد تفرد الدراما التلفزيونية السودانية من غيرها وذلك بانها بدأت ومنذ الوهلة الاولى تقدم على الهواء مباشرة، وهذا يدلل على الموهبة والاستعداد اللتان يتمتع بهما الفريق الفنى المنفذ للدراما (الكاتب، لممثل المصور، والمخرج) ويؤكد الدور الذى ادته الدراما التلفزيونية فى الحفاظ على القيم الاخلاقية والمبادئ وترسيخها فى المجتمع السوداني عبر التلفزيون القومي.

(ان الاعمال الدرامية من المسلسلات التى يبثها التلفزيون تُعبر عن الفكر والثقافة والقيم فى مجتمع معين ونصوص هذه الاعمال التى تعبر عن هذا الفكر تتخذ رموزاً ودلالات متعددة ترتبط باطار فكري ومعرفى وثقافى يرتبط بالمجتمع المحدد فى مرحلة من مراحل تطوره التاريخي ولايمكن تحديد وظائف النص الاجتماعية الا من خلال وضع النص فى سياق اجتماعى له بنية لغوية محددة ووظيفة فكرية اواتصالية تقوم بدورها تجاة الجمهور المستقبل لهذا العمل ولكل نص سياقه الاجتماعي الذى يؤثر فيه ولن يتحقق هذا التأثير الا من خلال لغه المجتمع.) (نسمة البطريق ـ 1995م ـ ص19)

أن فكرة التفاعل الفكري بين النصوص الدرامية والممجتمعات التى تخاطبها تشير الى ان الاعمال هى قوام فكر وثقافة وقيم هذه المجتمعات فلا يمكن تحليل هذه الاعمال الا من خلال هذهالعلاقة القائمة بينهما وبين فكر وايديولوجيا وقيم الجماعات والفئات الاجتماعية التى تتفاعل بداخلها او بين ثقافة المجتمع (تراثه الفكري والاجتماعي،)

ويرى الباحث ان معظم الاعمال الدرامية (المسلسلات التى قدمها التلفزيون القومي هى افكار وقصص واساطيروحكايات شعبية مستوحاه من المجتمع السوداني وتعبر عنه بشكل او باخر، فالنص الدرامي مأخوذ من المجتمع (مشكلاته، مآلاته، وافكاره (ولذلك نجد التفاعل مع النص المحلى السودانى اكبر من النصوص او المسلسلات المستوردة والتى غالباً ما تكون قصصها تعبر عن مجتمع لا يمت الى الجمهور السوداني بصله، ونجد ان فكرة البطل فى الدراما الغربية الوافدة الى ثقافتنا تقوم على تمحيص عناصر الخير فى الانسان فى صراعها مع الشر بكل صوره حتى اننا نجد ان فاعل الشر هو الغالب دائماً (البطل) وفى ثقافتنا الاسلامية نجد الخير فى الانبياء والشر فيما يصارعهم فنحن مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وضد بعض قريش التى اثرت مصلحتها ورفضت الحق.

ومن خلال قراءة متأنية واستطلاع مع مديرقسم العمليات الفنية بإدارة الدراما بالقناة القومية الاستاذ (حسن احمد عباس) وجد الباحث ان المسلسلات السودانية التى قام التلفزيون القومي ببثها منذ العام 2000 – 2014م والتى يبلغ عددها اثنان وعشرون مسلسلاً اختلفت فى عدد حلقاتها ما بين (7، 15، 25، 30 حلقة)، وهذة

المسلسلات جميعها حملت اهدافها العُليا عدد من القيم الاخلاقية والعادات والتقاليد التى تنبع من مشكاه الاسلام والتى هى اصلاً مغروسة فى المجتمع السوداني الاصيل والتى تضمنتها القصص الشعبية والحكايات والاسطاطير التى تتبع من التاريخ السودانى لتتم معالجتها عبر السيناريو الدرامي لترسخ وتأصل لهذة القيم الاخلاقية التى تحفظ كيان المجتمع السودانى تستقى منها الاجيال الدروس والعبر وتسهم كذلك فى التكوين ثقافي و والتماسك الاجتماعي والحفاظ على الهُوية السودانية والوحدة الوطنية من كل ما يشوبها ، ايضاً تقف سداً منيعاً امام الغزو الفضائى الذى يستهدف القيم الاخلاقية وظل هذة المسلسلات التلفزيونية حاضرة فى ذاكرة ووجدان الشعب السوداني لانها اصلاً خرجت من موروثنا وثقافتنا الشعبية وتراثنا الزاخر بالحكايا والاساطير التى يعتز بها السودانيون والتى تعبر عنهم وتميزهم عن كل شعوب العالم الاخري .

النمزج التطبيقي :.

الاسم: مسلسل أقمار الضواحى

إنتاج: تلفزيون السودان (القناة القومية)

قصة وسيناريو وحوار:عبد الناصر الطائف احمد

أخراج: قاسم أبوزيد

تاريخ البث : ابريل 2000م

ملخص القصة :

قصة المسلسل اجتماعية هادفة تناولت عده قضايا ومشكلات داخل المجتمع السودانى واهمها:

– قضية التعليم الحكومي بالسودان حيث تعرض المسلسل الى اهم محور فى العملية التعليمية (المعلم) – حيث عرض المسلسل شريحة المعلمين وقدم اخلاصهم وتفانيهم فى العمل وهم ينتشرون على الارياف والضواحى يعلمون النشئ وينيرون اركان المجتمع بإرائهم السديدة ولكنهم لايجدون المقابل المعنوي والمادي خاصة من قبل الوزارة حتى يمارسون حياتهم الاخري.. وتحت ضغوط الحياة المعيشية والحاجة الى المادة يترك اغلبهم مهنة التدريس ويلجأوؤن الى اعمال هامشيه اخرى. وتتفرغ المدارس من المعلميين ويتدنى المستوى التعليمى للتلاميذ شئياً فشئياً.

– ايضاً تعرض المسلسل قضية صراع الطبقات فى المجتمع السودانى الطبقة البرجوازية المتعالية والطبقة البسيطة الفقيرة وعرض نموزج لاسرة تلهث وراء الماده وعندما يباع اغلى شئ فى الدنيا الكرامة والحب من اجل الدراهم والديناروتسقط. المبادئ والقيم ويختل ميزان النسق الاجتماعى. ايضاً عرض المسلسل اسرة فقيرة عفيفة(اسرة استاذ سباعى) عاشت حياة طيبة وقدمت رسالة خالدة فى المجتمع بمساعدة الناس.

. ايضاً تناول المسلسل دور الصوفية فى المجتمع والشيخ كضابط ومرشد اجتماعى يدعو الناس الى الخير والبر والمعروف يرشدهم الى فضائل الاعمال وهو الحاكم والوالى الذى يرد الظالم وينصر المظلوم (صوت الحق).

قدم المسلسل رسالة حملت (خلود الانسان أن يكون بقدر رسالته المفيدة فى المجتمع).

القيم الأخلاقية التى سعى المسلسل لترسيخها!

ويرى الباحث ان المسلسل كشف عن مشكلات ارقت المجتع السودانى أولها سياسات اقتصادية كادت ان تعصف بالتعليم والمعلم وهي سياسات التحرير الاقتصادي التي فتحت الباب بمصرعيه لكل راس مالى ليستثمر في قطاع التعليم والصحة ليقف أولئك الفقراء الكادحين بلا حول ولاقوة امام أطماع أصحاب المال ويقع هذا

العبء على رسل العلم (المعلمون) ليعيشوا بين ناريين ان يأدوا رسالتهم تجاه المجتمع او يهجروا التعليم ويعملون في مجالات أخري أوسع دخلاً.. لتتجلى لنا القيم التي يحملها هؤلاء الرسل من حبهم لهذا الوطن الذي يحملهم على الاستمرار في أداء رسلتهم تجاه المجتمع وتربيه النشء على القيم الفاضله المتأصله في مجتمعنا السودانى وتنمية روح الوطنية فيهم وأداء ضريبة الوطن وكذلك مكارم الاخلاق التي نادا بها رسولنا الكريم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: تعرض المسلسل الى صراع المجتمع الذي انقسم الى طبقتين طبقة برجوازية أسست ثروتها بتنازلها عن القيم الأخلاقية واكل الناس بالباطل وطبقة فقيرة كادحة متمسكة بقيمها الدينية السمحة وهي قيم (الصدق، والأمانة، والعفة، ومساعدة الاخريين(صراع الخير والشر، والذى ينتهى دائماً بتجلى الخيرعلى الشر.

ايضاً ابرز المسلسل الدور الرسالي والرائد الذى يقوم به مشائخ الطرق الصوفية في المجتمع بدعوه الناس الى طريق الخير والحفاظ على القيم الأخلاقية الفاضلة بتربية افراد المجتمع على نهج الإسلام وسنه نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهم الملاذ لكل تائه وضال حتى يعود الى طريق الحق والخير والصراط المستقيم.

الحلقة الأولى - نموزج:

بدأت الحلقة بمشهد تكوينى عام للقرية مكان الحدث، من اعلى Establishing Shot، ثم ترتكز حركة الكاميرا على مشهد الرقص والغناء (العرس السودانى بكل تفاصيله(ويظهرعباس الريحانى الطاغية وهو يرقص في زواج ابنه المتخلف سنهورى على ست الحسان (أستاذة سامية)، ويتم الزواج قسراً دون رغبتها وتحت ضغوط والدها.!

وهنا تتكشف لنا بوادر الازمة والطبقة البرجوازية التي تدوس بمالها على قيم الحب والوفاء والإخلاص ويروح ضحيتها أستاذ كمال ابن خاله سامية وحبيبها – لنتسمع لوالده كمال السره في حوارها مع اخيها سعد والد سامية:

السرة: بعت كمال بالقروش والدهب المنقوش !!ما خفت الله فينا!

وتظهر حقيقة الصراع بموت الشيخ احمد والمنسي. والسر الذى تتفوه به زوجته التي يرمونها بالجنون وهى تخاطب الذاكى اخيها: بعت الحقيقة بالقروش! ود المنسي كان راح في المحاكم ماراح عند الحاكم. احمد ودالمنسي ما مات انكتل. كان مات في القيزان ما مات في الميزان، وهنا تتجلى حقيقة الصراع (المادة) التي داست على القيم الأخلاقية، ونبهه اليها الكاتب والتي كادت ان تعصف بالمجتمع السوداني، ويقع هؤلاء المتصلين عن القيم في شر افعالهم وينتصر اؤلئك المتمسكين بها ويعشون في توازن وسلام.

في هذة الحلقة: نجد مجموعة من القيم الأخلاقية! استطاع المخرج ان يحافظ على جماليات المكان السودانى بتفاصيله القرية (الثوب السودانى، الدلوكة، السيره والعرضة (قيم المروءة والشجاعة) السيرة في الزواج) الطيبة والعفة.

دراسة تحليلية لاقوال واراء الدراميين من خلال الاستبيان

من خلال المقابلة الميدانية التى اجريتها مع عينة من المختصين فى حقل الدراما التلفزيونية السودانية وهما:

1/ عبد الناصر الطائف احمد . مؤلف وكاتب سيناريو

2/ قاسم محمد ابوزيد . مخرج درامى)

3/ عبد اللطيف الرشيد المهدى (مؤلف وكاتب سيناريو)

4/ حسن احمد عباس (مخرج درامى)

قدم الاستبيان السؤال الاول عن مسيرة الدراما التلفزيونية السودانية وما قدمته للمجتمع ؟

وقد اتفق الجميع فى الرأى على ان الدراما التلفزيونية السودانية بدأت بالتأصيل للقيم الدينية والتأكيد على قيم الشعب السودانى الراسخة ونبذ العادات الضارة!

ويقول الكاتب عبد الناصر الطائف عن هذا السؤال (بدأت الدراما التلفزيونية السودانية متأثرة بالدراما الاذاعية وكانت تقدم على الهواء مباشرة وبدأت توعوية دينية ثم تتطور الى قضايا المجتمع وهمومه ثم بدأت تبحث فى الحضارة والثقافة السودانية.

وفى نفس السؤال يقول الاستاذ قاسم ابوزيد (الدراما السودانية بدأت منذ وقت مبكر وعملت من اجل قضايا المجتمع السودانى ونبذ العادات الضارة والتأكيد على قيم الشعب السودانى.

اما الاستاذ حسن احمد عباس يقول معلقاً على هذا السؤال (الدراما السودانية رسالية وتحمل قضايا المجتمع الذى تحكمه العقيدة الاسلامية الرشيدة.

ويقول الاستاذ عبد اللطيف الرشيد (كل الدراما السودانية التى قدمها التلفزيون القومي للمجتمع تحمل رسائل ذات قيم دينية وتربوية واخلاقية التى جسدتها فى صراع الخير والشر وانتصار القيم الفاضلة).

ايضاً البحث السؤال الثانى لعينة الاستبيان عن دور الدراما التلفزيونية السودانية فى ترسيخ القيم الاخلاقية من خلال ما قدموه من اعمال ؟

فجاءت الردود متشابهة تؤكد ان الدراما التلفزيونية السودانية أدت دوراً كبيراً فى ترسيخ القيم الاخلاقية داخل المجتمع السوداني!

يقول الاستاذ عبد الناصر الطائف. انه حاول فى مسلسله اقمار الضواحى ان يؤكد ان القيمه الحقيقية للانسان تتجلى فى رسالته التى يقدمها للمجتمع من خلال وظيفته وقدم نموزج للمعلم المتفانئ الذى يحب وطنه ويسعى لصلاحه ونهضته وحذرمن اللهث وراء الماده والانانية والدوس على القيم الاخلاقية الفاضلة.

ويقول الاستاذ قاسم ابوزيد مخرج المسلسل رداًعلى هذا السؤال. من خلال مسلسل اقمار الضواحي ناقشنا اهم قضية للانسان وهى التعليم ولفتنا النظر الى الدور التربوي الذى يقوم به المعلم فى المجتمع من تعليم النشئ وتنمية روح الوطنية فيهم والقيم الاخلاقية التى مغروسة فى المجتمع السوداني، و رد الاستاذ عبد اللطيف الرشيد على هذا السؤال مؤكداً دور الدراما فى الحفاظ على القيم الاخلاقية وترسيخها فى المجتمع بقوله. كل الاعمال التى كتبتها (سلسلة بحبوح ودحدوح(وسلسلة مقصات ناقشت فيها قضايا اجتماعية بالتأكيد على القيم الاخلافية الحفاظ عليها، واكد الاستاذ حسن احمد عباس من خلال الاعمال التى اخراجها الدور الذى تبنته الدراما فى ترسيخ قيم حب الوطن، تنمية روح التعليم، التعاون والتسامح، الحث على الزواج وتبسيطه – ايضاً اكد الجميع فى عينة الاستبيان ان الدراما التلفزيونية السودانية ومن خلال مسيرتها قدمت رسالة تربوية دينية. رداً على سؤال الاستبيان ؟

حيث قال الاستاذ عبد الناصر الطائف. انه استطاع من خلال المسلسل ان يثبت احاديث الرسول صلى الله علية وسلم فى ذم الدنيا واللهث وراء المادة فى حديثه صلى الله عليه وسلم (تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار) ايضاً حديثة صلى الله عليه وسلم فى الحث على التعليم (من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ومن ارادهما معاً فعليه بالعلم(وقدمنا نمازج حسنة للحفاظ على القيم والعكس كذلك حتى يعتبر المجتمع.

ويقول الاستاذ عبد اللطيف الرشيد من خلال عملى كممثل فى مسلسل النقيض. قدمنا الانسان السودانى الذى شب على قيم اخلاقية وعادات حث عليها الاسلام حب الغير، والتعاون، وصراع الانسان مع نفسه اللوامة. ايضاً دور المسيد الرسالي والشيخ الصوفى المربى الذى يضبط المجتمع.

ويقول الاستاذ قاسم ابوزيد ان المجتمع السوداني متميز بالقيم والعادات والتقاليد الاسلامية الجميلة منحن من خلال الدراما حاولنا ان نعرض هذة القيم لتزيد رسوخاً فى المجتمع السودانى.

ايضاً يؤكد الاستاذ حسن احمد عباس ذلك بقوله. كان هد ف الدراما السودانية منذ انطلاقتها فى سبعينات القرن الماضي أحياءمقاصد الدين وسماحة الاسلام وكشفت عن الانسان السودانى واصالته ودعمه للمجتمعات الاخري وحاربت الافكار المتطرفة الهدامة .

النتائج :

1. ان الدراما التلفزيونية تستطيع ان تحمل رسالة تربوية ودينية قوية ومؤثرة فى الجمهور المرسلة اليه وبطريقة غير مباشرة وهو أسلوب ناجح اذا ما قيس بالوعظ والارشاد والتوجية المباشرالذى ربما يأتي بمردود عكسى فمن خلال المسلسل الدرامي نستطيع ترسيخ قيمة او معني او مفهوم يصل بسهولة ونجاح.
2. قامت الدراما التلفزيونية السودانية بدور كبير وفاعل فى تنمية االانسان والحفاظ على قيمه الاخلاقية والتربوية وترسيخها فى المجتمع.
3. المسلسل السوداني يعبر عن المكونات التاريخية والثقافية والاجتماعية للجهمور السوداني لذلك يجد القبول والمتابعة منهم.
4. الدراما التلفزيونية المستوردة (مصرية، سورية، صينية) تؤثر سلباً فى تحجيم الدراما التلفزيونية السودانية وتقلل من انتاجها.

التوصيات :

1. يجب على الجهات المسئولة ان تدرك وتعى الدور الكبير والمهم الذى تؤديه الدراما التلفزيونية السودانية فى تغيير اتجاهات افراد المجتمع والتعبير ثقافته والحفاظ على قيمه الأخلاقية وتقديمه للأخر .
2. على التلفزيون القومي تشجيع القطاع الخاص ورأس المال السوداني لدخول مجال الانتاج الدرامي مما يُسهم فى زيادة الانتاج والمنافسة وفتح اسواق خارجية للدراما التلفزيونية السودانية.
3. يجب ان تكون الدراما التلفزيونية السودانية واحدة من الاهداف الاستراتجية للدولة تضع لها الخطط والبرامج والورش ومعينات تنفيذها بتوفير المال والكوادر الموهبة المؤهلة.
4. نوصى الدولة بتكوين جسم وكيان واعي يضم أهل الدراما التلفزيونية وانشاء مدينة للانتاج الاعلامي.
5. لابدان تتغير النظرة السطحية الضيقة لرجال الدين والسياسيين تجاة الدراما التلفزيونية السودانية لانها تُعد من اهم الوسائل فى نشر الدعوة والقيم الفاضلة وهى لعظم دوراً وتأثيراً من خطب المنابر المباشرة .

المراجع :

1.ابراهيم أنيس وأخرون (1989م) المعجم الوسيط . مكتبة القاهرة . دار الدعوة ط1

2. ابراهيم زكريا (1971م) مشكاة الفن ـ مكتبة مصرــ القاهرة ـ ط1
3. ارنست فيشر (1998م) ضرورة الفن ـ ترجمة أسعدحليم الهيئة المصرية العامة للكتاب ـالقاهرة
4. أريك بنتلي (1983 م) الحياة فى الدراما ـ ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ القاهرة ط1
5. المعجم الانجليزى (1993م)
6 هاشم الجاز .(2005م) الاعلام السوداني ـ منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة ـ الخرطوم
7 حسين رامز (1972م) الدراما التلفزيونية بين النظرية والتطبيق ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت
8. يوسف القرضاوي(1996م) ـ الاسلام والفن ـ دارالفرقان للتوزيع والنشر ـ عمان ط1
9محى الدين عبد الحليم (1984م) الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي ـ مكتبة دار الفكر ط1 ـ القاهرة
10. محمد قطب (1995م) منهج الفن الاسلامي ـ دار الشروق ـ القاهرة
12. نسمة البطريق: نصوص السينما والتلفزيون والمنهج الاجتماعي، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1995م، ص 19
13 ـ عبدالعزيز حمودة (1997م) البناء الدرامي ـ الهئية المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة
14. عبد الله الميرى(2000م) ـ الدراما التلفزيونية السودانية ـ اصدارات مسرح البقعة ـ امدرمان
15. على شمو (بدون تاريخ) تجربتي مع الاذاعة ـ مطبعة جامعة السودان للعلوم الطبية والتكنولوجيا ـ الخرطوم

الاوراق العلمية :

1 / سعد يوسف عبيد (رؤية استراتجية لانتاج الدراما السودانية) مجلة العلوم والتقانة العدد5 2009م
2./ اسماعيل طه (2006م) سمنار تلفزيون السودان فى الميزان ـ مسرح البقعة ـ امدرمان